﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾ [سبأ: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إتباعُ ذِكرِ سُليمان بعد ذكر أبيهِ داوودَ عليهما السلام؛ لاشتراكِهما في الفضل والإنابَة

لَمّا أَتَمَّ اللهُ سُبحانَه ما أرادَ مِن آياتِ داوودَ عليه السلام؛ أَتْبَعَهُ ابنَه سُلَيمانَ عليه السلام؛ لِمُشاركتِه له في الإنابة[1]، وأيضًا فإنَّ اللهَ تعالى لَمّا ذكَرَ فَضْلَهُ على داوودَ عليه السلام؛ ذكَرَ فَضلَهُ على ابنِه سُلَيمانَ عليه السلام[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غُدُوُّهَا﴾: (غدو) تدُلُّ تصريفاتُهُ على زَمانٍ، ومِنْ ذلكَ: الغُدوُّ، يُقالُ: غَدا يَغْدو[3]، والغَداةُ والغُدْوَةُ والغُدوُّ بمعنًى، وهو مِن أوَّلِ النَّهار إلى الزَّوال[4]، والغَدْوَةُ: المَرَّة مِنَ الغُدوِّ، وهو سَيْرُ أَوَّلِ النَّهارِ نقيضُ الرَّواحِ[5]، والغاديَةُ: سَحابَةٌ تَنْشأُ صَباحًا، والغَداءُ: الطَّعامُ بِعَيْنِه، سُمّيَ بذلكَ؛ لأَنَّهُ يُؤكَلُ في ذلك الزَّمانِ[6]، والمُرادُ بالغُدوِّ في الآية: الزَّمانُ الذي يغدو فيه النّاس، أي: يخرجون إلى حوائجِهم، فأَطلَقَ الغُدوَّ على الانصرافِ والانطلاقِ من المكانِ؛ تشبيهًا بغُدوِّ النّاس في الصَّباحِ[7].

2) ﴿وَرَوَاحُهَا﴾: (روح) تدُلُّ اشتقاقاتُه على سَعَةٍ وفُسحةٍ واطِّرادٍ، وأَصلُ ذلِكَ: الرّيحُ، والرَّواحُ: العَشيُّ، وسُمّيَ بذلك لرَوْحِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 462.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 676.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غدو).
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (غدو).
(5) الراغب، المفردات: (غدا)، وابن منظور، لسان العرب: (غدو).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غدو)، والراغب، المفردات: (غدا).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 158.

الرّيح؛ فإنَّها في الأَغلَبِ تَهُبُّ بعد الزَّوالِ[1]، وقيل: مِن لدن زَوال الشَّمس إلى اللَّيل، ورُحنا رَواحًا وتروَّحنا: سِرْنا في ذلك الوقت، أو عَملنا[2]، والمَراحُ: الموضع الذي تروحُ إليه أو مِنْهُ، كالمَغْدَى مِنَ الغداة[3]، ومعنى ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ هُنا: تسيرُ بالعَشيِّ مَسيرةَ شهرٍ.

3) ﴿وَأَسَلْنَا﴾: (سيل) تدُلُّ تصريفاتُه على جرَيانٍ وامتِدادٍ[4]، يُقال: سالَ الشَّيءُ سَيْلًا وسَيَلانًا؛ إذ جَرَى، والسَّيْلُ: الماءُ الكَثيرُ السّائِلُ، وهوَ اسْمٌ لا مَصْدَرٌ، وجَمْعُهُ: سُيولٌ[5]، ويُطلَقُ على المَوْضِعِ الذي تَجْتَمِعُ فيه مياهُ الأَوْدِيَةِ ونَحْوِها، ثمَّ تَجْري منه؛ لِتَنتَقِلَ إلى مَكانٍ أَخْفَضَ مِنْهُ، والمرادُ بالإسالةِ في الآية: جَعْلُ الشَّيْءِ سائِلًا، أي: مائِعًا مُنْبَطِحًا في الأَرْضِ، كَمَسيلِ الوادي[6].

4) ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: (عين) تدور تصريفاتُه على عُضْوٍ بِهِ يُبْصَرُ، ويُنْظَرُ، ثُمَّ يُشْتَقُّ منه، قالَ الخليلُ: العَيْنُ النّاظِرَةُ لكُلِّ ذي بَصَرٍ، وتُجْمَعُ على أَعْيُنٍ وعُيونٍ وأَعْيانٍ[7]، ويُستعار العَيْنُ لمعانٍ هي موجودةٌ في الجارحة بنَظراتٍ مختلفةٍ، واستُعيرَ للثُّقب في المزادة؛ تشبيهًا بها في الهيئة، ويقالُ لمنبع الماءِ: عَيْنٌ، تشبيهًا بها، لِما فيها مِنَ الماء[8]، ومثلها: عَيْنُ القِطْرِ، والقِطْرُ: هو النُّحاس المذاب، مأخوذٌ من قطرَ الشَّيءَ يقطرُ قطرًا وقطرانًا؛ إذا سال[9]، والمقصودُ بـ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ في الآيةِ: اسمٌ لثُقْبٍ أرضيٍّ، يَخرجُ منه النُّحاس المذابُ مِن الأَرْضِ.

5) ﴿يَزِغْ﴾: (زيغ) تدُلُّ اشتقاقاتُه على مَيْلِ الشَّيء، يُقالُ: زاغَ يَزيغُ زَيْغًا، والتَّزَيُّغُ: التَّمايُلُ[10]، وزاغَ البصر، أي: كَلَّ، وأَزاغَهُ عن الطَّريق، أي: أمالَهُ، وزاغَتِ الشَّمس، أي: مالت، وذلك إذا فاء الفيءُ[11]، والزَّيْغُ: الشَّكُّ، والجَوْرُ عَن الحقِّ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فِي

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (روح).
(2) ابن سيده، المحكم: (روح).
(3) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (روح).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سيل).
(5) ابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات: (سيل).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 159.
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عين).
(8) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (عين).
(9) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 275.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زيغ).
(11) الجوهري، الصحاح: (زيغ).

﴿قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: 7][1]، وقالَ الرّاغِبُ: الزَّيْغُ المَيْلُ عَن الاستقامةِ إلى أحدِ الجانبَيْنِ، وزالَ، ومالَ، وزاغَ: مُتَقارِبَةٌ، لكنْ زاغَ لا يُقالُ إلّا فيما كانَ عنْ حَقٍّ إلى باطِلٍ[2]، والمقصود بالزَّيْغِ في الآية: تجاوزُ الحَدِّ والطَّريقِ، والمعنى: من يعصِ أمرَنا الجاري على لسانِ سُليمان[3].

6) ﴿نُذِقْهُ﴾: (ذوق) تدور اشتقاقاتُه على اختبارِ الشَّيءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّم، ثمَّ يُشتقُّ منهُ مجازًا، يُقال: ذُقْتُ المأكولَ أذوقُهُ ذَوْقًا، وذُقْتُ ما عند فُلانٍ؛ إذا اخْتَبَرْتَهُ[4]، وذَوَّقَهُ الطَّعامَ: جَعَلَهُ يَخْتَبِرُ طَعْمَهُ بِلِسانِهِ، والذَّوق: وجودُ الطَّعمِ بالفَم، واسْتُعْمِل في العذاب بكثرةٍ، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: 49]، واستُعْمِلَ في الرَّحمة أيضًا: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [هود: 10][5]، فإن كان التَّذوُّق للنِّعمة زيادةً في التَّنعُّم، فالتَّذوُّق للعذاب زيادةٌ في الألم؛ فهو مُستَعارٌ للإحساسِ القَويِّ، وهذا هو المرادُ في الآيةِ.

7) ﴿ٱلسَّعِيرِ﴾: (سعر) تدُلُّ تصريفاتُه على اشتعالِ الشَّيءِ واتِّقاده وارتفاعه، ومن ذلك: السَّعيرُ: سعيرُ النّارِ، واسْتِعارُها: تَوَقُّدُها[6]، يُقال: سَعَرْتُ النّارَ أسعَرُها سَعْرًا؛ إذا أوقدتها، وهي مسعورَةٌ، وسَعَرت نار الحَرب سَعْرًا، واستُعِرت النّارُ؛ إذا استوقدت وسُعار النّار: حَرُّها[7]، والمِسْعَرُ والمِسْعارُ: الخشبُ الَّذي تُسْعَرُ به النّار[8]، والمقصودُ بالسَّعير في الآية: النّارُ الشَّديدَةُ الإيقادِ، والمرادُ بعَذابِ السَّعيرِ: عذابُ النّارِ، وهوَ تَشْبيهٌ، أَي: عذابًا كعذاب السَّعير، أَيْ: كعذابِ جهنَّم، وأمّا عذابُ جهنَّم؛ فإنَّما يكونُ حقيقةً يوم الحساب[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَذكُرُ اللّه ﷻ ما أنعَم به على سُليمانَ عليه السلام بعدَ أن ذكَر ما أنعَم به على أبيه، فيقولُ: وسَخَّرنا لسُلَيمانَ الرّيحَ تجري مِن أوَّلِ النَّهارِ إلى الزَّوالِ مَسافةً تَعدِلُ مَسيرةَ شَهرٍ،

(1) الزبيدي، تاج العروس: (زيغ).
(2) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (زيغ).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 160.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).
(5) الرّاغب، المُفردات، والسَّمين، الدُّرُّ المصون: 5/ 282، والمناوي، التَّوقيف على مهمات التعاريف، ص: 172.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سعر).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (سعر).
(8) الجوهري، الصحاح: (سعر).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 115، 160.

وتجري مِنَ الزَّوالِ إلى اللَّيلِ مَسافةَ تَعدِلُ مَسيرةَ شَهرٍ، وأجرَينا له عينَ النُّحاسِ، وسَخَّرْنا له مِنَ الجِنِّ مَن يَعمَلُ بينَ يَديه فيما يأمُرُه به، وذلك بأمرِ اللهِ تَعالى وتَسخيرِهم له، ومَن يَخرُجْ مِنهم عن أمرِنا لهم بطاعةِ سُلَيمانَ؛ نُذِقْهُ مِن عذابِ النّارِ[1].

سلطانُ الله تعالى قائمٌ على مخلوقاتِهِ يُسخِّرها لتَخْدُم عبدًا من عبادِهِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾، ودلالة عَطْفِها:

عَطْفُ فضيلةِ سُليمان ﷺ على فضيلة داوودَ ﷺ للاعتبار بما أوتيه سُليمان من فضل كرامةٍ لأبيه على إنابتِه، ولِسُليمان على نشأته الصّالحة عند أبيه، فالعطف على ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗا﴾، والمُناسبة مثل مُناسبة ذِكْرِ داوود، فإنَّ سُليمانَ كان موصوفًا بالإنابة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾ [ص: 34][2]، فهو من عطفِ القِصَّة على القصَّة وذكر سُليمان وما اختصَّه به من الكرامة[3].

الاعتبارُ بما أوتيه سُليمان ﷺ من فضل كرامة لأبيه على إنابته

بلاغةُ الحذفِ في صدر الآية الكريمةِ:

في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ إيجازٌ بالحذف، فـ ﴿ٱلرِّيحَ﴾ مفعولٌ لفعل محذوفٍ تقديرُه: (سخَّرنا)، فهو من قبيل الإيجازِ بالحذف، وقد أوحى الإيجازُ بحذف الفعلِ إلى تمكُّنِه من الرّيح وتحكُّمه بها، والرّيحُ عَطْفٌ على الحديد في قوله تعالى في الآية السّابقة: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ بتقدير فعلٍ يدلُّ عليه: ﴿وَأَلَنَّا﴾، ويكونُ التَّقديرُ: وسخَّرنا لسليمان الرّيح، على نحو قول الشّاعر:

يا ليتَ زوجكِ قد غدا *** مُتقلِّدًا سَيفًا ورُمحا[4].

الإشارةُ إلى شِدَّة التَّمكُّنِ من الرّيح وتحكُّمه بها

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 227، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 268، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 499.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 157.

(3) الرَّسعني، رموز الكنوز: 6/ 219.

(4) البيت من مُرفَّل الكامل، ومطلعه: يا ليت زوجك قد غدا، وهو لعبد الله بن الزِّبعري، كما قال الأخفش وقد ورد في عدد من كتب اللُّغة والنَّحو، ورواه صاحب الإنصاف: يا ليت بعلك في الوغى، يُنظر: الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، ص: 80، والأنباري، الإنصاف: 2/ 500.

أي: وحاملًا رُمْحًا.

ومعنى (تسخيرُهُ الرّيح): أنَّه خَلَقَ له ريحًا تُلائم سَيْرَ سفُنِه للغزو أو التِّجارة، فجعل اللهُ تَعالى لمَراسيهِ في شُطوط فلسطين رياحًا موسميَّة تَهُبُّ شَهْرًا مُشرِّقة؛ لتذهب في ذلك الموسم سُفُنُهُ، وتهُبُّ شهرًا مُغرِّبة لترجع سفنُه إلى شواطئ فلسطين، كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: 81][1].

دلالةُ (اللّام) في ﴿وَلِسُلَيْمَنَ﴾:

اللّامُ في قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَنَ﴾ لامُ التَّقوية، فإنَّه لمّا حُذِفَ الفعلُ لدلالة ما تقدَّم عليه؛ قُرِنَ مفعولُهُ الأوَّل بلام التَّقوية؛ لأنَّ الاحتياجَ إلى لام التَّقوية عند حذف الفعلِ أشَدُّ من الاحتياج إليها عند تأخيرِ الفعل عن المفعول[2].

الدَّلالةُ على تقويةِ عامل معنويٍّ بعد حذف الفعل

دلالةُ انتخابِ اللّام هنا دون (مع):

جاء في الآية السّابقة بـ (مع) في شأن داوودَ في قول الله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾، ولم يردِ في النَّظْمِ القرآنيِّ عند ذِكر سليمان: (ومع سليمان الرّيح)؛ لأنَّ حركتَها بتسخير سُليمان لها، وسُلطانِه عليها بأمر ربِّها، فتسير معَهُ حيث شاءَ، وهذا على خلاف تَأْويبِ الجبال؛ فإنَّه كان تبعًا لتأْويبِ داوودَ ﷺ، ولم يكن مُسَلَّطًا عليها؛ فلذا جيءَ هُنَاك بـ (معه)[3].

التَّمايزُ بين ترجيعِ الجبال مع داوود وتسخير الرّيح لسليمان

نكتة تقديم ﴿وَلِسُلَيْمَنَ﴾ على المفعول ﴿ٱلرِّيحَ﴾:

جاء تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿وَلِسُلَيْمَنَ﴾ على المفعول ﴿ٱلرِّيحَ﴾؛ ليُفيدَ معنى تخصيصِهِ بهذه النِّعمة دون سواه وتمكينه منها، فإنَّ الله ﷻ آتى سليمانَ ﷺ من فضله ثلاثَ مِنَنٍ امتنَّ بها عليه، وخَصَّه

إبرازُ الاختصاص بالنِّعمة وتمكين النَّبيِّ سُليمان من التَّصرُّف فيها وحده

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 158.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 158.

(3) النَّيسابوري، تفسير غرائب القرآن: 5/ 486، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 290.

بها دون سائرِ الأنبياء والمُرسلين، وهي: تسخيرُ الرّيح له، وإسالة عين النُّحاس له، وتسخير الجنِّ للعمل بأمرهِ، وهذا مصداقُ إجابةِ ما دعا به ﷺ في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ [ص: 35]، وهذا يُشير بوضوحٍ إلى أنَّ هذه النِّعمة بالتَّحكُّم في الرّيح كانت خاصَّةً بسليمان ﷺ دون غيرهِ مِن النّاس، فاللّهُ تَعالى مكَّنه منها، وأعطاه سُلطةَ التَّصرُّف فيها، مِمّا يُبرز كمال فضلِه على غيرهِ، ويَزيد مِن قدر النِّعمة، ويُشعر القارئَ والمُتدبِّر بمدى التَّمكين والتَّكريم الذي منَحهُ اللّه تَعالى إيّاهُ.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّة في ﴿ٱلرِّيحَ﴾:

تكثيرُ المعاني بين التَّسخير والثَّبات باختلاف القراءات

قرأ الجمهورُ ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بإفراد ﴿ٱلرِّيحَ﴾، وبنصبها على أنَّها معطوفةٌ على ﴿ٱلۡحَدِيدَ﴾ في قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾، وقرأ أبو بكر عن عاصم برفع ﴿ٱلرِّيحُ﴾ على أنَّه من عطف الجمل[1]، فيكونُ مُبتدأً محذوفَ الخبرِ، والتَّقديرُ: ولسليمان الرّيحُ ثابتةٌ مُسخَّرةٌ له تسخيرًا[2]، فأوردت الجُملة اسميَّة؛ للدَّلالة على أنَّ كونها مُسخَّرة لسُليمان أمرٌ ثابتٌ عند العامَّة، مذكورٌ على الألسنة، أو على تقدير فعلٍ مبنيٍّ للمفعول، والتَّقدير: سُخِّرت لسليمان الرّيحُ.

وأمّا على قراءة الباقين بالنَّصب؛ فعلى أنَّ ﴿ٱلرِّيحَ﴾ مفعولٌ بهِ لفعل محذوفٍ، تقديرهُ: وسخَّرنا لسليمانَ الرَّيح، والجُملة معطوفةٌ على مفهوم كلام سابقٍ، فإنَّه يُفهم من قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾[3].

وقرأ أبو جعفر ﴿ٱلرِّيَحَ﴾ بصيغة الجمع[4]، وقد فرّق بعضُ

(1) الواسطي، الكنز في القراءات العشر: 2/ 611، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 158.
(2) البغوي، تفسير البغوي: 3/ 672.
(3) المظهري، التَّفسير المظهري: 8/ 12، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 363، وخواجه الأنصاري، كشف الاسرار: 8/ 117.
(4) ابن الجزريّ، النّشر: 02/ 223.

العلماء بين لفظَي ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بالإفراد، و﴿ٱلرِّيَحَ﴾ بالجمع، فجعلَ حجّةَ من أفرد أنّه جعلَها عذابًا، واستدلَّ بما روي عنِ النّبيّ ﷺ: «اللّهم اجعلها رياحًا لا ريحًا»[1]، والحجّةُ لمن جمعَ: أنّه فرّق بين رياح الرّحمةِ، ورياح العذابِ، فجعل ما أُفرد للعذاب، وما جُمعَ للرّحمة[2].

ومع ذلك فقد يقال: إنَّ (الرّيح) إذا ذُكرت مطلقةً فالغالبُ أن تكون في العذاب، و(الرّياح) إنِ استُعملت غيرَ مقيّدَةٍ فإنّ الغالبَ أن تكون للرّحمة، وأمّا إذا قُيّدا بالإضافةِ أو بالوصف خرجا عمّا هو الغالبُ لنُكتةٍ، ولعلَّ النّكتةَ هنا أنّ قراءةَ الجمهور توجّهُ على ملاحظة صفةِ (العصف) الدّالّةِ على الشّدّة والقوّةِ والإهلاك، وقراءةَ غيرهم توجّهُ على ملاحظة صفةِ ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾، فتكونُ الرّيح المُسخّرةُ لسليمان عليه السلام مُطلقةً في العذابِ والرّحمة والشّرّ والخيرِ ممّا يدلُّ على عظمة التّسخير وإطلاقِه.

وملمح بلاغي آخر في توجيه قراءة الجمع والإفراد هو اختلاف الجهة، فوجه القراءة بالجمع هو إتيانها من كل جانب، وذلك معنى يدلّ على اختلاف هبوبها، فهي رياح لا ريح؛ لأنّ الريح الواحدة إنما تأتي من جانب واحد، فكان لفظ الجمع فيها أولى، لتصرّفها من جهات فيكون لفظها مطابقًا لمعناها في الجمع، ووجه القراءة بالتوحيد أن الواحد يدلّ على الجمع؛ لأنه اسم للجنس، فهو أخفّ في الاستعمال، مع ثبات معنى الجمع فيه[3].

دلالةُ فصلِ قوله: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾:

قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾ جُملةٌ مُستأنفة استئنافًا بيانيًّا[4]،

إيضاحُ كيفيَّةِ التَّسخير بِذِكْرِ سُرعة الرّيح وعظمتها

(1) ضعيف جدّا، لأنّ في إسناده حسين بن قيس الرحبي الملقب بحنش، وهو متروك، الألباني، السّلسلة الضعيفة، رقم: (4217).
(2) ابن خالويه، الحجّة، ص: 91.
(3) مكّي، الكشف: 1/ 271.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 125.

مسوقةٌ لبيان كيفيَّة التَّسخير، أو هي حالٌ هي في قوَّة الاستئناف، كأنَّه قيل: كيف كان التَّسخيرُ[1]، فجاءَ الجوابُ موضِّحًا سرعة الرّيح وتسخيرها لسليمان ﷺ؛ ليدلَّ على عظمةِ قدرةِ اللّهِ تَعالى في تسخير عناصرِ الطَّبيعةِ وتيسيرها لنبيِّه كرامةً له؛ ففُصِلت هذه الجُملة عمّا قبلها لشِبْهِ كمال الاتِّصال بينهما.

مَوقِعُ الاسميَّةِ في جُملة ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ جُملة اسميَّة في مَحَلِّ نصبٍ حالٌ من ﴿ٱلرِّيحَ﴾[2]، أي: جريُها بالغدوِّ من الصَّباح إلى الزَّوال كان مسيرةَ شهرٍ، وبالعشيِّ من الزَّوال إلى الغُروب كذلك[3]، وتوضِّح هذه الجُملة وظيفةَ الرّيح المُسخَّرة لسُليمان ﷺ، وتُشير إلى سُرعتها الكبيرة؛ إذْ تَقْطَعُ في وقت الغدوِّ مسافةَ شهر، ومثل ذلك في وقت الرَّواح؛ ليُصبح (الغدوّ) و(الرَّواح) حالًا ثابتة في تسخيرها، وذلك تعبيرٌ عن مدى تيسير اللّه تعالى لسليمان ﷺ في التَّحكُّم بعناصر الطَّبيعة.

استقرارُ تسخيرِ الرّيح بالغدوِّ والرّواح دلالة على امتداد النِّعمة وثباتِها

دلالةُ الاستعارةِ في التَّعبيرِ بـ (الغدوّ) و(الرواح):

الغدوُّ: أوَّل النَّهار، وفيه تغدو الكائناتُ إلى حيث تَطلُب رزقَها وغذاءها، والرَّواح: آخرُ النَّهار، حيثُ ترجعُ الكائنات الغادية، وتروح إلى مَراحها الذي ترتاح فيه، بعد عمَلِ يَوْمِها، ومعنى غدوِّها شهر ورواحها شهر، أي: إنَّ مسيرةَ الرّيح المسخَّرة لسُلَيْمان، في غدوة تقدَّرُ بمسيرةِ شَهْرٍ، سَيْرًا على القَدم، كما أنَّ مراحَها ورُجوعَها مِن غدوَتِها، يَعْدِلُ مسيرةَ شَهْرٍ[4].

تصويرُ سُرعةِ الرّيح وحركتها ذهابًا وجَيْئَةً

وأُطْلِق الغدوُّ على الانصراف والانطلاقِ من المكانِ تشبيهًا

(1) زاده، حاشية محيي الدِّين زاده على تفسير البيضاوي: 6/ 681، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 466.
(2) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 9/ 320.
(3) المظهري، التَّفسير المظهري: 8/ 12.
(4) الخطيب، التَّفسير القرآني: 11/ 787.

بخروج الماشية للرَّعي في الصَّباح، وهو وقت خروجها، أو تشبيهًا بغدوِّ النّاس في الصَّباح، وأُطلِقَ الرَّواحُ على الرُّجوع من النَّهمة التي يخرج لها؛ لأنَّ عُرفهم أنَّ رواحَ الماشية يكون في المساء، فهو مشتقٌّ من راح؛ إذا رجع إلى مَقرِّه[1]، ففي الكلام استعارةٌ تصريحيَّة أصليَّة، تَمَّ فيها استخدام كلمة (الغدوِّ) المرتبطة في الذِّهن بالخُروج والنَّشاط ممّا يُعطي صورةً واضحة عن طبيعة الرّيح وسُرعة انطلاقها، وكلمة (الرَّواح) الدّالة على الرُّجوع، وقد شُبِّعت بعودةِ الماشيةِ إلى مكانها في المساء؛ إظهارًا للتَّوقيت المرتبط بهذا الفعل، حيثُ يرتبط الرّواحُ بتجربة مألوفةٍ للجميع، مِمّا يجعل الفكرة أكثر قُربًا للقارئ، ويُساعد في تصوير سُرعةِ الرّيح وحركتها ذهابًا وجيئة.

دِلالةُ العطفِ بِذِكْرِ الرَّواح وعدم الاقتصار على ذكر الغدوِّ:

دفعُ توهُّمِ سُكون الرّيح مساءً

عَطفَ النَّظمُ الكريم ذكرَ الرَّواح بعد ذِكْرِ الغُدوِّ، ولم يقتَصِر على زمن الغدوِّ ليُقاسَ عليه زمن الرَّواح؛ لأَنَّ الرّياح كثيرًا ما تسكن، أَو تضعف حركَتُها بالعشيِّ، فدُفِعَ بالتَّنصيص على زمَنِ الرَّواح توهُّمُ اختلافِ الزَّمانين[2].

بلاغةُ الحذفِ في الآية الكريمة:

بيانُ غايةِ سُرعة الرّيح بالإيجاز في اللَّفظ وتصوير الإعجاز في التَّسخير

قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾، أي: غدوُّها مسيرة شهر، ورواحها مسيرة شهر، وإنَّما وجب هذا التَّقدير؛ لأَنَّ الغدوَّ والرَّواح ليس بالشَّهر، وإنَّما يكونان فيه، فحُذِفَ من الآية الكريمة لفظ (مسيرة)، وهو بيانٌ لغاية سُرعتها؛ لدلالة السّياق على المحذوف[3]، وهذا الحذفُ يُحقِّق غاية الإيجاز الذي هو من أساليبِ البلاغةِ، حيث يُفهم المعنى تمامَ الفَهْمِ دون الحاجةِ لتوضيح المسافة، فكأنَّ مجرَّدَ ذكرِ الغدوِّ والرَّواح مع الشَّهر كافٍ لإظهار قوَّة

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 158.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 290.
(3) الصّابوني، الإبداع البياني في القرآن العظيم، ص: 263.

الرّيح وخُضوعها التّام لإرادة سليمانَ ﷺ، وهذا يُعطي إحساسًا بالتَّسخير المُطلق للرّيح في أيِّ وقت يشاء، وهذا يزيد من الشُّعور بعظمة هذه النِّعمة وقوَّة التَّسخير.

سِرُّ تكرارِ لفظ ﴿شَهْرٌ﴾:

الإعلامُ بمقدار زمن الغدوِّ وزمن الرَّواح

أَعاد النَّظمُ الكريم لفظَ الشَّهر في قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾؛ للإعلام بمقدارِ زمَنِ الغدوِّ وزمن الرَّواح، والألفاظ التي تأتي مُبيِّنة للمقادير لا يَحْسُن فيها الإضمار[1].

ولأنَّ في ذكرها دفعًا لِتَوَهُّم أن يكون الشَّهر الواحد مدَّةً لمجموع الغدوِّ والرَّواح، فنُصَّ على الشَّهرِ مكرَّرًا؛ لبيان أنَّ كُلًّا مِنَ الغدوِّ والرّواحِ مُدَّتُهُ شهرٌ.

بلاغةُ المُطابقةِ بين الغدوِّ والرَّواح:

التَّقابلُ في الزَّمانِ دليلٌ على التَّسخير الكامل للرّيح لسليمان ﷺ

كلٌّ مِنَ الكلمتينِ - (الغدوّ) و(الرَّواح) - يُشير إلى مُدَّتين مُحَدَّدتين مِنَ اليوم، فالغدوُّ هو وقتُ الصَّباح، بينما الرَّواح يشير إلى المساء، وهذا التَّوازن بين المُدَّتين يُبَرِزُ مدى انتظام الرّيح وسُرعتها في كلا الاتِّجاهين، حيث تقطع مسافة شهر في الصَّباح، وأخرى في المساء، أي: مِن منتصفِ النَّهار إلى اللَّيل، فتقطعُ مسيرة شهرين في يوم واحدٍ[2]، وهذا ما يَدُلُّ على كمال التَّسخيرِ مِنَ اللّه تَعالى لعناصر الطَّبيعة لنبيِّه سليمانَ ﷺ؛ فكلمتا (الغدو) و(الرَّواح) تَدلّان على حركتين متقابلتين، وُهَما الذَّهاب والعودة، مِمّا يُعزِّز فكرة أنَّ الرّيحَ كانت مُسخَّرةً لسليمان ﷺ في الأوقاتِ كُلِّها، وهذا دالٌّ على عظمةِ هذا النَّبيِّ الكريم وكرامَتِه عِنْدَ اللّهِ سُبحانَهُ.

معنى (الواو) في: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ جملةٌ معطوفةٌ على قولِهِ

(1) ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب: 1/ 272.
(2) الجزائري، أيسر التَّفاسير: 4/ 309.

قبلُ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾[1]، والعطف هُنا جاء ليُضيف نعمةً أخرى خَصَّ اللّٰه بها نبيَّهُ سليمان ﷺ بعد ذِكر تسخير الرّيح، مِمّا يُشير إلى تَعدُّدِ النِّعم الَّتي أنعم بها اللّٰهُ تَعالى عليه وتكامُلِها من خلال تسخيرِ عناصرَ مُختلفةٍ للنَّبيِّ سُليمان ﷺ تحقيقًا لمُلكه العظيم.

إظهارُ تعدُّدِ النِّعَمِ على سُليمان ﷺ وتكامُلها

فيكونُ على هذا التَّقرير بين الجملتَين توسُّطٌ بين الكمالَين؛ لاشتراكِ الجُمْلتين في الخبريَّة، ولِما بَيْنَهُما مِنَ التَّناسُبِ في المعنى، وحسَّن هذا العطفَ اشتراكُ الجُمْلَتَيْنِ في الفعليَّةِ على قراءةِ نَصْبِ ﴿ٱلرِّيحَ﴾، وفي أحَدِ تَوْجيهَي قراءةِ الرَّفعِ ﴿ٱلرِّيحُ﴾ أيضًا.

نُكتةُ التَّعبيرِ بـ(الإسالة) دون التَّفجيرِ في ﴿وَأَسَلۡنَا﴾:

الإسالةُ: جعْلُ الشَّيءِ سائلًا، أي: مائعًا مُنْبَطِحًا في الأرض كمسيل الوادي، والمعنى هُنا: سخَّرنا له عينَ النُّحاسِ، وسَهَّلنا له الأسبابَ في استخراج ما يُستخرجُ مِنها مِنَ الأواني وغيرها[2]، بحيثُ يكونُ سهلَ الاستخدامِ والتَّشكيل للنَّبيِّ سُليمان ﷺ، فلفظُ الإسالةِ يوحي بتدفُّق المادَّة وانسيابِها برِفْقٍ وسلاسَةٍ على نحو مُستمرٍّ، بينما لفظُ (التَّفجير) يوحي بالاندفاع القويِّ المُنتَشر، فكان لفظُ الإسالةِ دالًّا على كمال العناية واللُّطف الإلهيِّ في تمكين نبيِّه ﷺ من استعمالِهِ مِنْ دون عناءٍ.

الإسالةُ رمزٌ للرِّفق وسهولة التَّمكين الإلهيِّ في تسخير المادَّة لنبيِّ اللهِ سليمانَ ﷺ

سِرُّ التَّعبيرِ هُنا بالإسالةِ وعن الحديدِ بالإلانة:

في التَّعبيرِ عن الحديد بالإلانةِ في قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾، وعن النُّحاسِ بالإسالَةِ في قوله تَعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ إشارةٌ إلى اختلاف طبيعَتَي كُلٍّ مِنَ الحديد والنُّحاس، وأنَّ الحديدَ يُمكنُ تشكيلُهُ بالطَّرْق؛ إذا سُخِّنَ، ولان، بخلاف النُّحاس، فإنَّهُ لا يُنتفع بهِ حتَّى يَنْصَهِر، ويتحوَّلَ إلى مادَّة أقرب ما تكون إلى

تناسقُ التَّعبيرِ بين الإلانة والإسالة بحسب طبيعة المعادن

(1) المظهري، التَّفسير المظهري: 8/ 12.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 159، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 676.

السَّوائل، وهذا ما نجدُه في قوله تعالى حكايةً عن ذي القرنين قولَه: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف: 96]، فالحديدُ هُنا قد عُرِضَ على النّار حتَّى احمَرَّ، وصار أشبه بالجَمْر، ثُمَّ جاء بالقِطْرِ - وهو النُّحاس الذّائب - فأفرغه على هذا الحديدِ، وصَبَّهُ فَوْقَهُ، كما يُصَبُّ الماء على النّار، وعينُ القِطر هو الخالص منه، فهو نحاسٌ خالِص[1].

نُكتةُ إسنادِ (الإسالة) في ﴿وَأَسَلۡنَا﴾:

بيانُ عظمةِ الإعجازِ في تحويل الجمادِ الصُّلب إلى سائلٍ مائع

أُسنِدَ فعلُ الإسالةِ إلى (نا) الدّالَّةِ على العظمة والكبرياءِ في قول الله تعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾؛ لِما يقتضيه السّياقُ بعظمة تلك الإسالةِ وذلك التَّسخير، وهذا دليلٌ على كمال قُدرةِ الله تَعالى؛ لأنَّ المعروفَ أنَّ النُّحاس مَعْدِنٌ جامدٌ، فجعلَهُ الله ﷻ لسليمانَ عليه السلام عَيْنًا سائلةً، كأنَّها الماءُ[2].

معنى (اللّام) ونُكتة تقديم ﴿لَهُۥ﴾ على المفعول:

خُصوصيَّةُ النِّعمةِ لسليمان عليه السلام بالإسالة وتفرُّده بها

في قوله تعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ دلالةٌ على أنَّ الله تعالى أسال له عينَ القِطْرِ، يتصرَّف فيها كما يشاء، وهذا يقتضي أن تكونَ هذه الإسالةُ مستمرَّةً حيثُما أرادها؛ وجَدها[3]، ولم يُذَبِ النُّحاس فيما روِيَ لأحدٍ قبله[4]، فاللّامُ في ﴿لَهُۥ﴾ يُرادُ بها الاختصاص، وتقديمُ الجارِّ والمجرور على المفعولِ ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ لإرادة القصر والحصر، فالتَّقديمُ دالٌّ على تخصيص نعمةِ الإسالة للنُّحاس بالنَّبيِّ الكريم سُليمان عليه السلام وحدَهُ، وفي ذلك إظهارٌ لفضلِه وتميُّزه، وتكريمٌ له وتعزيزٌ لمكانتِه باعتبارِه مَلِكًا نبيًّا.

---

(1) الخطيب، التَّفسير القرآني: 11/ 788.

(2) العثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 99.

(3) العثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 100.

(4) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 409، وأبو حيّان الغرناطي، البحر المحيط: 8/ 527.

دلالةُ التَّعبيرِ بالعين في ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾، أي: أذبناهُ له حتَّى صار كأنَّه عينُ ماء مُتدفِّقة من الأرض، وذلك دالٌّ على أنَّه تعالى يفعل في الأرض ما يشاء، فلو أراد؛ لأسالَها كُلَّها، فَهلَكَ مَنْ عليها، ولو أرادَ؛ لجعل بدَل الإسالةِ الخَسْفَ والإزالة[1].

بيانُ قُدرةِ الله تعالى المُطلقةِ في التَّصرُّف في خَلقِهِ

بلاغةُ المجازِ في التَّعبير بإسالةِ عين القطر:

﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ في الآية الكريمة مُستعارةٌ لَمَصَبِّ ما يُصهر في مصانعِهِ من النُّحاس، حتَّى يكونَ النُّحاس المذاب سائلًا خارجًا من سواقٍ ونحوها مِنَ الأنابيب، كما يخرج الماءُ مِنَ العين؛ لشِدَّة إصهارِ النُّحاس وتوالي إصهارِهِ، فلا يزالُ يسيل ليصنع له آنية وأسلحة، وما ذلك إلّا بإذابةٍ وإصهارٍ خارقَيْنِ للمُعتاد بقوَّةٍ إلهيَّة، وذلك ما لم يُؤْتَهُ مَلِكٌ من ملوك زمانِهِ، ويجوز أن يكونَ السَّيلانُ مُستعارًا لكثرة القِطْرِ كثرةً تُشبه كثرةَ ماءِ العيون والأنهار، ويكون ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أيضًا تَرْشيحًا لاستعارة اسم العين لمعنى مُذاب القطر، ووجهُ الشَّبهِ: الكثرةُ[2]، فالاستعارةُ تصريحيَّةٌ أصليَّة، والعلاقةُ بين المعنى المجازيِّ والحقيقيِّ السَّيلانُ والتَّدفُّقُ الحاصل داخل المصبِّ والعين، وقد مَنع مِن إرادة المعنى الأصليِّ القرينةُ اللَّفظيَّة ﴿ٱلْقِطْرِ﴾، حيث يتعذَّر أن يتدفَّق النُّحاس من العين.

تصويرُ الكثرةِ والتَّدفُّقِ في إسالةِ القِطرِ إظهارٌ للنِّعمة والامتنانِ

وقد يكون التَّعبيرُ بالعين من قبيلِ المجاز المُرسل؛ لأنَّ الذي يُذاب هو النُّحاس، وليس المكانَ الذي يُصَبُّ فيه، فتكون علاقتُه محليَّةً، وسِرُّ التَّعبيرِ بالمجاز المرسل يوحي بمدى تسخير النُّحاس له مُذابًا لا جهدَ في إلانَتِه، وفي هذا امتنانٌ عظيمٌ من اللّه تَعالى على نبيِّه.

بيانُ الامتنانِ الإلهيِّ في تسخير النُّحاسِ مذابًا بلا عناءٍ

ولأنَّه لا تَزاحُمَ في الأسرارِ والنِّكات، فإنَّه يُمكنُ الجمعُ بينَ قيمَةِ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 463، وقاسم، عقد الجُمان، ص: 914.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 159، وأطفيش، تيسير التَّفسير: 11/ 378.

الاستعارَةِ والمَجاز في إضْفاءِ معانٍ دلاليَّةٍ تَجْمَعُ بين وفرَةِ النُّحاس أوَّلًا، وبين جاهزيَّته للاستخدامِ دونَ عناءِ إذابَتِه، وفي هذا امتنانٌ على امتنانٍ[1].

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾:

استمرارُ سَرْدِ النِّعم بِتَسخير الجِنِّ وتذليلهم لخدمة سليمان عليه السلام

قولُ اللهِ تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يجوز أن يكونَ عطفًا على جُملة: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾، فقوله: ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ خبرُهُ، وهو في موضع الحال، ويجوزُ أن يكون ﴿مَن يَعْمَلُ﴾ عطفًا على ﴿ٱلرِّيحَ﴾ في قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَنَ ٱلرِّيحَ﴾، أي: سخَّرنا له مَن يعمل بين يديه من الجنِّ، وتكون جُملة: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ مُعترضةً بين المعطوفِ والمعطوف عليه، وسخَّرنا له من الجنِّ مَن يعمل لديهِ مِنَ المحاريب وغَيْرِها، بأمر ربِّه وقُدْرَتِهِ وتيسيره وتسخيره إيّاهم لسليمانَ عليه السلام[2].

فالعطفُ يُشير إلى تسلسل النِّعَمِ الَّتي أنعمَ اللهُ تعالى بها على نبيِّه سُليمان عليه السلام؛ حيث ذُكِرَت النِّعم بشكلٍ متتابعٍ، فبدأَت بتسخير الرّيح، ثُمَّ إسالة النُّحاس، وأخيرًا بتسخير الجِنِّ ليعملوا تحت إمْرَته، فالعطفُ يُبرز تكامُلَ هذه النِّعم وتعدُّد وسائل التَّمكين التي منحها اللهُ تَعالى لسليمانَ عليه السلام، مُجسِّدة شموليَّة هذا التَّمكين الإلهيِّ لِسُليمان في العناصر المحيطة به مِنَ الرّيح إلى المعادنِ، بل والكائنات غير المرئيَّة كالجِنِّ، كما يُشير العطف هنا إلى نوعٍ مِنَ التَّفصيل والتَّدرُّج في ذكر الجنود المُسخَّرين لسُليمان عليه السلام.

دلالةُ (مِنْ) في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾:

تخصيصُ بعض الجِنِّ لطاعة سليمان عليه السلام

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ دالَّةٌ على التَّبعيض، والمعنى: أنَّ اللهَ تعالى سخَّرَ لسُليمان بعضَ الجِنِّ لخدمتِهِ وطاعتِهِ فيما

(1) آل مبارك، البلاغة القرآنيَّة في سورة سبأ، ص: 71.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 159، والشِّربيني، السراج المنير: 3/ 354.

يأمرهم بِهِ، ويوكِّلهم من الأعمال، ولذلك وكَّلَ مَلَكًا يُعذِّب مَن عَدَلَ منهم عن أمر سُليمان[1].

الاهتمامُ بالمُقدَّمِ بيانٌ للتَّسخير الفريد للجِنِّ

ويجوزُ أن تكون (مِنَ) في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ بيانيَّةً؛ لأنَّ بها بيانًا لإبهام (مَنْ) بعدَها، وقُدِّمَ على المبيَّن اهتمامًا به لغرابته[2]، فإنَّ تذليلَ الجِنِّ وتسخيرَ طاقاتهم الخارقة لخدمة بشَرٍ، وفي طاعة نبيٍّ؛ يُعدُّ أمرًا غيرَ مألوف وشأنًا عظيمًا يَستدعي الاهتمامَ بِذكره والتَّنويه بشأنه.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(العمل) ولطيفةُ صَوْغِهِ مُضارعًا:

استمرارُ العمل بُرهانٌ على كمال التَّمكُّن وقوَّة التَّسخير

من فضلِ اللهِ تَعالى على سُليمان أن سَخَّر له الجِنَّ، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾، أي: بأمرِهِ، واختيار كلمة ﴿يَعۡمَلُ﴾؛ للدَّلالةِ على الفعلِ مُمتد الزَّمان.

وصيغَ فعلُ العمَلِ مُضارعًا؛ للدَّلالة على الاستمرارِ والدَّوام، فهُم دائبون مُستغرقونَ في العمل، والدَّليل على ذلك أنَّهم ظَلّوا على هذه الحالِ من العمل المتواصلِ رغمَ وفاتِهِ مُدَّة طويلةً، وهم لا يعلمون بأمرِهِ، فقد أمكنَهُ الله تعالى منهم غايةَ الإمكانِ في غَيْبَتِهِ وحُضوره[3].

دلالةُ تقييدِ ﴿يَعۡمَلُ﴾ بالظَّرف ﴿بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾:

الدَّلالةُ على القُربِ والمُشاهدة

في قَولِهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ دليلٌ على أنَّ الجِنَّ قد يُشاهَدونَ، فإنَّ الظّاهرَ أنَّهم يُشاهَدونَ، وهم يَعملونَ بينَ يدَي سُلَيمانَ عليه السلام[4]، فيُشير التَّعبير ﴿بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ إلى القُربِ في المكان المُتاحِ للنَّظر، وهوَ يدلُّ على أنَّ سليمان عليه السلام كان يَرى الجنَّ، وهم يعملون، ويباشرون أوامرَهُ بِمَرْأى مِنْهُ ومسمعٍ.

(1) المظهري، التَّفسير المظهري: 8/ 13، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 292.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 159.
(3) الشِّربيني، السراج المنير: 3/ 354.
(4) العُثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 109، وابن تيميَّة، مجموع الفتاوى: 15/ 7، وابن حجر، فتح الباري: 6/ 459.

بلاغةُ الكنايةِ في التَّعبيرِ بالظَّرف ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾:

التَّأكيدُ على الخضوعِ والطّاعةِ والامتثال

معنى قولِه: ﴿يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يخدمُهُ ويُطيعُهُ، يُقال: أنا بين يديك، أي: مطيع[1]، فالظَّرفُ يحمِلُ في طيّاته دلالةَ الطّاعة والخدمة المُباشرة لنبيِّ اللّهِ سُليمان عليه السلام.

براعةُ الالتفاتِ من التَّكلُّم إلى الغيبةِ:

بيانُ عظمةِ الرُّبوبيَّة بتسخير الجنِّ له، وقربه من نبيِّه سُليمانَ ونصرته إيّاه

عَدَلَ النَّظمُ الكريمُ عن التَّكلُّم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، وكان مقتضى الظّاهرِ أن يردَ في النَّظْم القرآنيِّ: (بإذننا)؛ لأنَّه تقدَّمَ قبلُ قولُ اللّه تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾، وقد أفادَ هذا الالتفاتُ عظمةَ الرُّبوبيَّةِ بتسخير الجنِّ له، وقُربِهِ مِن نبيِّه ونصرته إيّاه، وهي معانٍ لم تكن لتُؤَدّيَ مدلولَها دون الالتفاتِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالإذنِ دون (الأمر) في: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾:

شمولُ الدَّلالةِ للأمرِ الكونيِّ والشَّرعيِّ إبطالٌ لاستدلال الجنِّ بأعمالِهم واستبدادِهم

لمّا كان ظَنُّ ظانٍّ أنَّ للجنِّ استبدادًا بأعمالهم؛ نفاه ربُّنا بقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، أي: بإرادة ربِّه وتسخيره[2]، فالإذنُ هُنا كونيٌّ، يعني: أنَّ اللّه تعالى سَخَّر الجنَّ؛ ليعملوا بَيْنَ يدَي سليمان عليه السلام بإذنِه، بأمره الكونيّ، ويحتملُ أن يكونَ الإذنُ شرعيًّا، أي: بأمر ربِّه، والمعنى: أنَّ ربَّهُم أَمَرَهُم أنْ يُطيعوهُ في جميع ما يأمر، وينهى بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3].

نُكتةُ إضافةِ (الإذن) في ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾:

الدَّلالةُ على الرَّحمةِ والإحسانِ في مقامِ التَّفضُّل والامتنان

في قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، أي: بتمكينِ المُحسنِ إليه لَهُ ولَهُم بما يُريد فعله[4]، فجاء باسْمِ الرُّبوبيَّةِ الدّالِّ على الرَّحمة والإحسان في مقام التَّفضُّل والامتنان.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 159.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 463، والمظهري، التَّفسير المظهري: 8/ 12.
(3) الماتريدي، تفسير الماتريدي: 8/ 432، والعُثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 109.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 463.

دلالةُ العطفِ في قوله: ﴿وَمَن يَزِغۡ﴾:

زيادةُ التَّقريرِ بالرَّبطِ بين الجزاء والأمر

لمّا قرَّرَ اللهُ سُبحانه أنَّ ذلك التَّسخيرَ العظيمَ للجِنِّ كان بإرادته وأمره؛ زاد ذلك تقريرًا بقوله عاطفًا على ما تقديره: فَمن عَمِلَ بأمرنا؛ أَثَبْناهُ جنّات النَّعيم: ﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]، فالعطفُ هنا للرَّبط بين أمر اللهِ تَعالى بطاعة سُليمان، وبيان الجزاء لمَن يَخْرُج عن هذا الأمر، فهي تُفيد الانتقالَ من التَّمكينِ الذي منحهم اللهُ تَعالى إيّاه إلى تذكيرهم بالتَّحذير مِنَ العقوبة التي تَنْتَظِرُ مَن يعصي هذا الأمرَ.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بـ(مَنْ) في ﴿وَمَن يَزِغۡ﴾:

الإشارةُ إلى الميَلِ المُتأصِّل في الجِنِّ إلى طبيعة الزَّيغ والميل

قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا﴾، فقد دخلت (مَنْ) الشَّرطيَّة على الجُملةِ الفعليَّةِ، و(مَنْ) في محلِّ رفع مبتدأ؛ لأنَّ الفعلَ بعدها فعلٌ لازمٌ، فتكون الجملة اسميَّةً دالَّةً على الثُّبوتِ والاستمرار.

وفي التَّعبيرِ بالشَّرْطِ ربطٌ لإذاقةِ عذابِ السَّعيرِ بالزَّيْغِ، وأنَّ الجنَّ الذي سخَّرهم اللهُ تَعالى لا يجرؤُ أحدٌ منهم على مخالفةِ نبيِّ اللهِ تَعالى سُليمان عليه السلام؛ لأنَّ إذاقتَهُ عذابَ السَّعيرِ أمرٌ متحقِّقٌ متيقَّنٌ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارع: ﴿يَزِغۡ﴾:

الدَّلالةُ على استمرارِ العقوبةِ؛ كُلَّما وُجِدَ الزَّيغ

قولُ اللهِ تعالى: ﴿يَزِغۡ﴾ معناهُ: يَمِلْ، وينحرفْ عاصيًا[2]، فالزَّيْغُ دالٌّ على انحرافٍ عن قصدٍ وعَمْدٍ، وصيغ هذا الفعلُ مُضارعًا؛ للدِّلالةِ على أنَّ مِنَ الجنِّ مَنْ طُبِعَ على التَّمرُّد، إلّا أنَّ العُقوبةَ تقع عليهم في كُلِّ مَرَّةٍ يحيدون فيها عن أمرِ اللهِ تَعالى.

سر التعبير بالأمرِ في ﴿عَنۡ أَمۡرِنَا﴾:

الإشارةُ إلى الأمرِ بطاعة سُليمان عليه السلام

قولُ اللهِ تعالى: ﴿عَنۡ أَمۡرِنَا﴾، أي: الذي أَمَرْنا به من طاعةِ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 464.
(2) ابن عطيَّة الأندلسي، المحرَّر الوجيز: 4/ 409.

سُليمانَ ﷺ[1]، ولم يقل: (إرادتنا)؛ لأنَّه لا يقعُ في العالم شيءٌ يُخالف إرادتَه سُبحانه تعالى، ولا يقَعُ ما يُخالف الأَمْرَ[2].

لطيفةُ إضافةِ الأمرِ إلى ضميرِ العظمة في ﴿أَمْرِنَا﴾:

الإشارةُ إلى أنَّ سُلطانَ اللهِ سُبحانه قائمٌ على هذه الكائنات مُهيمنٌ عليها

في التَّعبيرِ بضميرِ العظمةِ إشارةٌ إلى أنَّ سُلطان الله ﷻ قائمٌ على هذه الكائناتِ، وأنَّه سبحانه قد سَخَّرها لتخدم عبدًا مِن عبادِهِ، وهو سُليمان ﷺ، فهي واقعةٌ تحتَ هذا الحكم، لا تخرج عنهُ، ومن خَرَجَ عنه منها؛ عذَّبه اللهُ عذابًا أليمًا[3].

سِرُّ المُغايرةِ في الإضافة في الآية:

بين الإذنِ والأمر مُناسبةُ الرِّعاية الرَّبّانيَّة والعظمة الإلهيَّة

جيءَ في قولِه تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بلفظِ الربِّ، وقال بعدُ: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾، ولم يَرِد في النَّظمِ القرآنيِّ: (عن أمرِ ربِّه)؛ لأنَّ (الرَّبَّ) لفظٌ ينبئُ عن الرَّحمةِ، فلمّا كانت الإشارةُ إلى حِفظِ سُلَيمانَ ﷺ، قال: ﴿رَبِّهِۦ﴾، ولمّا كانت الإشارةُ إلى تعذيبِهم؛ قال: ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾، بلفظِ التَّعظيمِ المُنبئِ عن الهَيبة الموجِبِ لزيادةِ الخَوفِ[4].

بلاغةُ الاستعارةِ في التَّعبيرِ بالإذاقةِ:

تصويرُ العذابِ في الإدراك استحضارٌ لسُرعة الإحساس به وشدَّتِهِ

أخبرَ اللهُ تَعالى أنَّ جزاءَ مَن يَمِلُ عن أمرِ اللهِ تَعالى وأمرِ نبيِّه سُليمان ﷺ أن يُذيقَهُ مِن عذابِ السَّعير، وأصلُ الذَّوق يكونُ للطَّعام، والإذاقةُ في الأصل: إصابةُ المطعوم بطرف اللِّسان؛ لإدراك الطَّعام واختبارِه، وهي أضعفُ إصابات الأعضاءِ للأجسام، فهي أقلُّ من المَضْغِ والبلعِ، ثُم استُعيرت الإذاقةُ للإصابةِ بالعذاب والإحساسِ به، حيث شُبِّهَ ذلك الإحساسُ بذوقِ الطَّعم بجامع سُرعةِ اتِّصال الإحساس بالإدراك، ففي التَّعبيرِ بالإذاقةِ استعارةٌ تصريحيَّة

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 479.
(2) الثَّعالبي، الجواهر الحسان: 4/ 365، وابن عطيَّة الأندلسي، المحرَّر الوجيز: 4/ 409.
(3) الخطيب، التَّفسير القرآني: 11/ 787.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 198، والنَّيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 486.

تبعيَّة؛ حيث عبَّرَ عن الطَّعامِ بالعذاب، وتَحسُّسه بالذَّوق؛ لأنَّ الذَّوق من جُملة الإدراكات، والمَذوق إذا لاقى اللِّسانَ؛ يُدرك أيضًا حرارتَه وبُرودَتَه وخشونَتَه ومَلاسته، كما يُدرك سائر أعضائه الحسيَّة، ويُدرك أيضًا طَعْمَهُ، ولا يُدركه غير اللِّسان، فإدراكُ اللِّسان أتَمُّ، فإذًا الذَّوق إدراكٌ لَمسيٌّ أتمُّ من غيرهِ في الملموسات[1]، ففي هذه الاستعارةِ تمثيلٌ للعذاب واستحضارُ سرعةِ الإحساس بهِ وشدَّته، مِمّا يدلُّ على قُرب العذابِ وإيلامه.

دلالةُ المضارع في ﴿نُذِقۡهُ﴾، ولطيفة إسناده:

الـدَّلالـةُ على عظيم العذاب وأليم العقاب

جاء التَّعبيرُ بفعل الإذاقةِ فعلًا مضارعًا في قول الله تعالى: ﴿نُذِقۡهُ﴾؛ للدِّلالة على استمرارِ الإذاقَة ودوامِها ما دام الزَّيْغُ واقعًا مِنْهم، وأُسنِدَ الفعلُ إلى ضميرِ العظَمَةِ (نحن) المستترُ وجوبًا في ﴿نُذِقۡهُ﴾، أي: بما لنا مِنَ العَظمة التي أمكنّا سُليمان عليه السلام بها مِمّا أمكنّاه فيه من ذلك[2]، وهذا يَدلُّ على أنَّ فِعْلَ العذاب حاصِلٌ بقُدرةٍ إلهيَّة عظيمَةٍ، وهذا أبلغُ في التَّهديد.

معنى ﴿مِنۡ﴾ في قوله: ﴿مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾:

الدَّلالةُ على أنَّ العذابَ الذي يُلاقونَهُ ألوانٌ وأصنافٌ

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ تبعيضيَّة، وقد أفادت هُنا أنَّ العذابَ الذي يُلاقونَهُ ألوانٌ وأصنافٌ[3]، وأنَّ هذه الإذاقةَ الحاصلةَ في الدُّنيا تعقبُها إذاقةُ عذابٍ أشدَّ وأعظمَ في الدّار الآخرةِ.

بلاغةُ التَّشبيهِ في التَّعبيرِ بالعذابِ:

تصويرُ شِدَّةِ العذاب الدُّنيويِّ بمستوى العذاب الأخرويِّ

في قول الله تعالى: ﴿مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ يَحْتَمِلُ أنَّ عذابَ السَّعيرِ ليس العذابَ الأخرويَّ، وإنَّما يُحمل على التَّشبيه، والتَّقديرُ: نذقهُ عذابًا كعذاب السَّعير، فَشُبِّهَ العقابُ الدُّنيويُّ بالعذابِ في الآخرة،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 468.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 464.
(3) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 9/ 322.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»